Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهول الطوفان يصور في الطبيعة وإلى جانبها يصور في والد وولده: ذلك ناج في السفينة ملهوف على فلذة كبده، وهذا يجرفه الطوفان حيث: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ (هود: ٤٣). وإن الهول هنا ليكاد أعظم من الهول في الطبيعة: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود: ٤٢) فما كان الموج في المشهد إلا إطارا للهول النفسي الذي يفرق بين الابن وأبيه ويفصم الصلة التي لا تفصمها الأهوال.

العجز عن معرفة الإعجاز:

من علماء البلاغة من يرى أن الإعجاز شيء لا يمكن التعبير عنه ولكن النفس تحس حيال القرآن بإحساس غامض أساسه العجز أمام قدرته وقوته وبيانه. قال السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: «اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما»[1].

وذكر ابن أبي الحديد ـ صاحب شرح نهج البلاغة ـ أن معرفة مقامات الكلام لا تدرك إلا بالذوق، فقال:

اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق، والجلي والأجلى، والعلي والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الأدلة المنطقية عليه، وهو بمنزلة جاريتين: إحداهما بيضاء مشربة حمرة، دقيقة الشفتين، نقية الشعر، كحلاء العينين، أسيلة الخد، دقيقة الأنف، معتدلة القامة، والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها وأليق وأملح ولا يدرى لأي سبب كان ذلك، لكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يكن تعليله وهكذا الكلام[2].

وذهب الخطابي إلى أن إعجاز القرآن يرجع إلى «صنعه في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٢٤.